الباحث عن الحقيقة

الباحث عن الحقيقة - ١

قال ابن عباس -رضى الله عنهما: حدثنى سلمان الفارسى -رضى الله عنه-فقال :

كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها : جى ، وكان أبى دهقان قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه ، لم يزل به حبه إياّى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطَنُ النار الذى يوقدها ، لا يتركها تخبو ساعة واحدة .

وكانت لأبى ضيعة عظيمة فشُغل فى بنيان له يوماً ، فقال لى : يا بنى ، إنى قد شُغلتُ فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب إليها فاطلعها ، وأمرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : ولا تحتبس عنى ، فإنك إن احتبست عنى ، كنت أهمّ إلىّ من ضيعتى وشغلْتنى عن كل شىء من أمرى .

قال : فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى دخلت عليهم أنظر ما يصنعون . فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ،وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، وتركت ضيعة أبى فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟قالوا بالشام.

(حديث صحيح، أخرجه سعد وأحمد وآخرون)

....

هذه بداية قصة مهّمة فى تاريخ الإسلام، وهى دخول "سلمان الفارسى"-رضى الله عنه- إلى ساحة الدين الحنيف . وهى قصة حافلة مليئة بالأحداث والأشخاص، يمكن تسميتها بقصة الحدث بحق ، فقد صادف الصحابى الجليل -رضى الله عنه- أحداثاً ومواقف صعبة وعديدة ، حتى منّ الله عليه بنعمة الإسلام .

وقد استلهم هذه القصة عدد من أدبائنا وكتابنا المعاصرين، ولعل أشهر من استلهمها الكاتب القصصى الراحل "محمد عبد الحليم عبد الله" حيث كتب أجمل قصة فى أدبنا الحديث عن إسلام سلمان الفارسى بعنوان " الباحث عن الحقيقة " .

وابن عباس – رضى الله عنه – يحكى القصة على لسان سلمان، الذى يعرف بنفسه وانتمائه إلى أصبهان وقرية جى الفارسية ، وكان أحب خلق الله إلى والده ، وهذا الحب دفعه إلى حبسه فى البيت خوفاً عليه . ولكن فطرة سلمان الدافعة له إلى البحث عن الحقيقة ، جعلته يجتهد فى تدّينه على الطريقة المجوسيّة التى يعبد أتباعها النار ، صار من شدّة تديّنه "قطن النار" أى الحارس عليها ، الذى يغّذيها بالوقود باستمرار حتى لا تنطفىء ولا تخبو .

إن والد سلمان كان دهقان قريته، أى رئيسها أو عمدتها كما نقول فى مصر . وكان صاحب ضيعة كبيرة ، تشغله همومها وأعباؤها ، وهو ما دفعه إلى أن يأمر سلمان بالذهاب إلى الضيعة والاهتمام بشئونها ، والعودة إليه لأنه لا يطيق فراقه ؛ فهو عنده أهم من الضيعة ومن كل شىء .

وكان هذا الأمر بداية التطوّر فى تفكير سلمان وعقيدته والدخول فى معمعة كبيرة من الأحداث حتى وصل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأعلن إسلامه ، وصار واحداً من كبار الصحابة .

تبدأ رحلة البحث عن الحقيقة بخروج سلمان إلى ضيعة والده ، فيمرّ بكنيسة للنصارى ، ويستمع إلى أصواتهم وهم يصلّون، وكان سلمان يجهل أمرهم وأمر الناس عموماً بسبب حبس والده له فى البيت . وقد أغراه ما سمع بالدخول إلى الكنيسة لينظر ما يصنع النصارى ، فأعجبته صلاتهم ، ورغب فى أمرهم ، ورأى أن دينهم أفضل من دينه المجوسى ، فظل معهم حتى غربت الشمس ، وترك ضيعة والده ، أو نسيها فلم يذهب إليها لأنه انشغل بما رأى عند القوم ، ولم يكن انشغاله سطحياً أو ظاهرياً ، بل كان انشغالاً عميقاً جاداً ، فسألهم عن أصل الدين ومكانه ، فقالوا له إنه بالشام . وهنا تبدأ الأحداث فى التعقيد حيث رجع سلمان إلى أبيه بعد أن طلبه ليعاتبه على تقصيره فى المهمة التى كلّفه بها فيحكى له سلمان ما جرى:

"يا أبت، مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس " .

فقال له أبوه: أى بنّى، ليس فى ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه .

فقال لأبيه : كلا ، واللّٰه إنه لخير من ديننا . فخافة أبوه ، فجعل فى رجله قيداً، ثم حبسه فى بيته .

وكأن هذا الحبس نهاية المطاف ، بعد حوار يكشف عن مفهوم الأب والابن للعبادة ، فالابن يفكّر ، ويقارن ، ويرى أن النصرانية أفضل من المجوسية ، ولكن الأب لا يفكر ولا يقارن ، ويتعصّب لما ورثه عن آبائه ، فيعتقد أن المجوسية أفضل من النصرانية ، ولأنه يخاف على ابنه من الخروج عن عبادة النار ، فإنه يحبسه ويقيّده ، حتى لا يواصل اتصاله بالكنيسة ، وينحاز إلى النصرانية فيكون لذلك تأثيره عليه وعلى أهل القرية التى يحكمها ويرعى شئونها .

ولكن هل منع القيد والحبس سلمان عن مواصلة رحلة البحث عن الحقيقة؟ كلاّ.. لقد واصل رحلته بطريقة ما . فقد بعث إلى النصارى كى يخبروه إذا قدمت رحلة من الشام ، وبالفعل فإن هذا الركب القادم من الشام ويضم تجاراً من النصارى ، يحملونه معهم إلى الشام بعد أن ألقى الحديد من رجله.. وهناك سأل : من أفضل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة ، فذهب إليه وطلب أن يدخل فى النصرانية ويخدم فى الكنيسة ، ويتعلم منه ويصلى معه . فاستجاب له ، ولكنه كان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ولكنه يكنزها لنفسه ، ويحرم المساكين ؛ حتى جمع سبع قلال من الذهب والفضة . فأبغضه بغضاً شديداً ، وحين مات اجتمع النصارى لدفنه فأخبرهم بما كان يفعل ودلهم على موقع الذهب والفضة ، وعندئذ رفضوا دفنه وصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر جعلوه مكانه .. وكانت له قصة أخرى مع سلمان رضى اللّٰه عنه .

الباحث عن الحقيقة - ٢

يواصل ابن عباس رضى الله عنهما-رواية قصة إسلام سلمان الفارسى .. فبعد أن مات الراهب الذى رفض قومه أن يدفنوه وقاموا بصلبه ورجمه لسوء سلوكه، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

يقول سلمان: فما رأيت رجلاً يصلى أفضل منه ، وأزهد فى الدنيا ، ولا أرغب فى الآخرة، ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه. فأحببته حبّاً لم أحب شيئاً قبله مثله، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان ، إنى قد كنتُ معك ، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك.. وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى ؟

قال : أى بنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالحق به .

فلما مات وغيّب لحقْتُ بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألحق بك، وأخبرنى أنك على أمره، فقال لى: أقم عندى، فأقمت عنده ، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان ، إن فلاناً أوصى بى إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى مَنْ توصى ؟ وبم تأمرنى ؟

قال: يا بنى ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان فالحق به، فلما مات وغُيّب لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبرى، وما أمر به صاحبى .

فقال : أقم عندى ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له : من توصى بى ، وبم تأمرنى ؟

قال: يا بنى، والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه ، إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فإنه على أمرنا...

.....

لم تكن رحلة سلمان الفارسى رضى الله عنه بحثاً عن الحقيقة ، واهتداءً إلى الإسلام ، سهلة أو هينّة ، ولكنها كانت رحلة معاناة وتجارب . معاناة عميقة وتجارب خصبة ، جعلته فيما بعد واحداً من المبشرين بالجنة وفقاً لبعض الروايات وصحابيّاً جليلاً مهّماً فى مسيرة الدعوة الإسلامية فى نظر المؤرخين جميعاً .

لقد كانت تجربته الأولى مع راهب سوء يكنز المال ، ويحرم الفقراء ، مما أدى إلى صلبه ورجمه وعدم دفنه ، وكانت تجربته الثانية مع راهب آخر ، يحب الخير وهو عابد زاهد قائم ، أحبه سلمان كما لم يحب أحداً آخر ، وظل معه حتى حضرته الوفاة فطلب منه أن يوصى به ويوجهه ، ولكن الرجل يشير إلى أمر خطير ، وهو هلاك المؤمنين ، وتغيّر الناس فى زمنه ، فبّدلوا دينهم ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلاّ رجلاً بالموصل ظلّ ثابتا على الحق ..وهذا الرجل لحق به سلمان ليخوض تجربة جدّدت إيمانه ورسخّت يقينه ، حين وجده مثل صاحبه الراحل الذى أحبه حبا شديداً . ولم يلبث صاحب الموصل أن مات بعد أن أوصى سلمان أن يلحق برجل فى نصيبين يرى فيه خيراً ، فأقام عنده وكان على أمر صاحبيه فى الموصل و الشام ، حتى نزل به الموت ، فأوصاه برجل فى عمورية من أرض الروم ، هو الذى بقى على أمر النصرانية الحقيقية ، فلحق به سلمان وأقام عنده ، وكان رجل خير ، على هدى أصحابه السابقين وأمرهم ..

نلاحظ أن سلمان أقام عند أكثر من راهب فيه صفات طيبة ولديه تجارب غنيّة ، وهو ما صقل فكره وأنضج وعيه ، وجعله يسير فى طريق الإيمان إلى منتهاه .. لقد توطدت إقامته لدى صاحب "عمورية"، فعمل وكسب حتى كانت له بقرات

وغنمات ، ونزل أمر الله برجل عمورية ، وحضرته الوفاة ، فطلب منه سلمان الوصيّة والتوجيه ، وهنا تنتقل الأحداث نقلةً جديدة ، تقترب بسلمان من الإسلام والتعرف على نبيّه – صلى الله عليه وسلم – ولكنها تزيده معاناة وألماً، وتدخله تجارب جديدة عاصفة ، وكأنّها تهيىء له دور المنتظر فى خدمة الإسلام والمسلمين .

إن راهب عمورية يقول له : أى بنى ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحداً على مثل ما كنا عليه من الناس ما آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظلّ زمان بنى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجر إلى أرض بين الحرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى :

يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوّة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

إذاً راهب عموريّة النصرانى يبشّر بمحمد – صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر كتابه المقدّس ، ويشير إلى رسالته التى تتضمن دين إبراهيم عليه السلام . ويبيّن علامات نبُوتّه المحسوسة والملموسة ، فهو – أى محمد – يخرج بأرض العرب ، ويهاجر إلى يثرب ، أرض بين الحرّتين أى بين الأرضين ذواتى الحجارة السوداء ، وفيها نخل . وهناك علامات نبوّته الشخصية التى تتمثل فى أنه يقبل الهدية ، ولا يقبل الصدقة ، وفى جسمه علامة بين كتفيه تحمل خاتم النبوة .

هذه العلامات يسترشد بها سلمان الفارسى، رضى الله عنه، فى رحلته للبحث عن الحقيقة بعد موت صاحبه فى عمورية التى بقى بها زمنا ، ثم رحل عنها إلى أرض العرب بعد أن أعطى القافلة التى حملته بقراته وغنماته ...ولكن تجار القافلة، وكانوا من قبيلة كلب ، يظلمون سلمان ويبيعونه عبداً لرجل يهودى ، يقيم عنده حتى يرى أول علامة من العلامات التى أشار إليها صاحب عمورية ، وهى النخل فيستشعر أنه اقترب من غايته ، ويتأكد من ذلك حين يأتى يهودى من بنى قريظة لمن اشتراه ، فيحمله إلى المدينة ..وتتلاحق أحداث البحث عن الحقيقة .

الباحث عن الحقيقة - ٣

رأينا سلمان الفارسى - رضى الله عنه ، فى قصة بحثه عن الحقيقة يصل إلى المدينة المنوّرة عبداً رقيقاً ليهودى من بنى قريظة يعانى الرق والعبودية ، حتى سمع بهجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، فذهب إليه وهو بقباء .

يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - على لسان سلمان :

"قلت له: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شىء قد كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم .

قال: فقربته إليه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "كلوا" وأمسك يده فلم يأكل .

قال: فقلت فى نفسى : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، ثم جئت به فقلت له إنى رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه . قلت فى نفسى : هاتان ثنتان . ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ببقيع الغرقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، على شملتان لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله و أبكى ، فقال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "تحوّل".

فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثى - كما حدثتك يا ابن عباس ، فأَعْجَبَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرقّ؛ حتى فاته مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدر و أحد ...

....

فى هذا الجزء من قصة سلمان الفارسى - رضى الله عنه - تصل الأحداث القصصية إلى ذروتها حيث تقترب من نهاية تحقيق الحلم الذى حلم به سلمان ، وهو الوصول إلى الحقيقة واطمئنان القلب وسكينة الروح، رؤية النبى-صلى الله عليه وسلم- والتثبت من علامات النبوة التى حدثه عنها راهب عمورية ، وإعجاب النبى-صلى الله عليه وسلم- بقصته ورغبته أن يسمعها الصحابة رضوان الله عليهم .

لقد جاء سلمان إلى المدينة ، وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مكة ، يتلقى الوحىّ حيث بُعث رسولاً ونبيا ، وكان سلمان يعانى فى رقه وعبوديته . وكانت هجرة المسلمين إلى المدينة، وسمع سلمان وهو على رأس نخلة لسيّده اليهودى يعمل فيها بعض العمل ، حديثا جرى بين سيده وابن عمّ له يقول : يا فلان ، قاتل الله بنى قيلة ، والله إنهم

الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبى . قال سلمان ، فلما سمعتها أخذتنى العُرَيَّاء أى الرعدة من البرد ، حتى ظننت أنى ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ فغضب سيدى فلكمنى لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك. قلت ؛ لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال .

وتكشف لنا هذه الواقعة عن إحساس اليهود بصدق البشارة ، ومعرفتهم بمجيء نبى آخر الزمان الذى تحدث عنه الكتاب المقدس ، وأشار إلى أوصافه ، وهم منذ وصوله إلى المدينة فى همّ عظيم ، لأنهم سيفقدون السيادة و القيادة . كما تكشف هذه الواقعة على المستوى الشخصى عن قسوة اليهود على غيرهم من خلال اللكمة الشديدة التى تلقاها سلمان من سيّده ، ورغبته فى إبعاده عن الأمر حتى لا يتأثر بالنبى المنتظر!

يسعى سلمان كى يستوثق من العلامات التى ذكرها له راهب عمورية، فيذهب بالصدقة إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – ولكنه لا يقربها، و يأمر أصحابه أن يأكلوا منها.. فهو لا يقبل الصدقة و تتحقق أولى العلامات الشخصية .بعدها يستوثق من الخاتم الذى بين كتفيه ، وحين يراه يقبل عليه ويبكى ويأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يتحول إلى مجلسه ويجلس بين يديه ، ويحكى له قصته التى رأى أن يسمعها الصحابة .

البحث عن الحقيقة لدى سلمان استغرق زمناً طويلاً وعمراً مديداً ، بدأ من شبابه فى إحدى قرى أصبهان ببلاد فارس ، حتى تم بيعه رقيقاً ليهودى وهو فى طريقه إلى أرض العرب ووصوله إلى يهودى آخر فى المدينة ، وفيما بين البداية والمدينة ، صحبته لعدد من الرهبان بعضهم سيىء السلوك ، ومعظمهم يعبد ربّه كما علمته شريعته ، ويخبر راهب عمورية بالنبى المنتظر وعلاماته ، بعد أن فسد الناس وتركوا شريعتهم وحرفوها وبدّلوها ، وتكون هذه العلامات هادياً لسلمان رضى الله عنه فى التعرف على النبى –صلى الله عليه وسلم– وإعلان إسلامه وهو عبدُ ، فلم يتمكن من شهود بدر و أحد ، مما حزّ فى نفسه ، ولكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسعى إلى تحريره ليكون واحداً من كبار الصحابة ، فيأمره أن يكاتب سيدّه قائلاً ، "كاتب يا سلمان" أى يعمل ويسدّد له نظير شنه ، ويأمر أصحابه بمساعدة سلمان "أعينوا أخاكم"، بل إنه يسهم بنفسه فى هذه المكاتبة ويأتى بمثل بيضة الدجاجة من ذهب فيقول:" خذ هذه فأدها عما عليك يا سلمان " وحين يتردّد سلمان مستقلاً إياها، يقول له: خذها فإن الله سيؤدى بها عنك " ..يقول سلمان : فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذى نفس سلمان بيده ، أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها . وتحرّر سلمان وتم عتقه ، وشهد مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – المشاهد كلها منذ الخندق . رحم الله سلمان الفارسى ورضى الله عنه – فقد كان مثالاً للباحث الأصيل عن الحقيقة . لم تغره ضيعة أبيه ولم تلهه صعوبات البحث ومعوّقاته عن الوصول إلى الحقيقة .